

حقوق الانسان بين مبادئ الاسلام وسلوك الدول الغربية

الاستاذ الدكتور

سعيد مجيد دحدوح(*)

مقدمة:

حقوق الإنسان، اصطلاحاً حديثاً نوعاً ما لحقيقة قديمة لازمت البشرية منذ أقدم العصور، واهتمت بها الديانات السماوية والاتجاهات الفكرية والفلسفية المختلفة، ومنذ أن ظهرت دولة المدينة وظهر الحكم المطلق ثم أدعاء الربوبية من الحاكم، كما هو حال نمرود وفرعون وغيرهم كما يحدثنا القرآن الكريم عنهم.. ((فقال أنا ربكم الأعلى))^١ و((ما علمت لكم من اله غيري))^٢، بدأت الإنسانية تعاني ألواناً من الهدر للكرامة والسحق لأرادتها، ومصادرة الحقوق والحريات... وفي كثير من الأحيان يأخذ حور الحاكم أبعداً مأساوية، تنتهي إلى نهايات مؤلمة يسحق على أثرها الملايين من الضحايا والإجهاز على الأخضر واليابس بدعوى الإصلاح ((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون))^٣.

ولم تنحصر دائرة حقوق الإنسان فيما بين البشر أنفسهم بل اتسعت الدائرة لتشمل كل متعلقاتهم من مفردات الطبيعة التي يعيشونها حيازة واستثماراً. وقد أصبح لها قسوة خاصة في التاريخ الراهن لدى المنظمات الدولية والقانون الدولي العام والنظم السياسية، ولكن العبرة ليس أن تسطر هذه الحقوق في لوائح أو إعلانات بل تنفيذها بشفافية وتجسدها في الواقع، أو أن تستخدم هذه الحقوق لأغراض سياسية وفي العلاقات الدولية، لاحتلال الدول، أو تهديدها ومحاولات تغيير النظم السياسية. سنحاول في هذا البحث التطرق إلى حقوق الإنسان في القرآن والسنة النبوية وكيف تعاملت مع هذه الحقوق فضلاً عن سلوك الغرب الاستعماري مع الشعوب والأمم التي خضعت لسيطرته أو استخدام هذه الحقوق لأغراضه الخاصة بعد التعرف على مدلول الحق والإنسان وماهية حقوق الإنسان.

ومن الله التوفيق

استاذ في كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

الترغات، آية ٢٤.

القصص، آية ٣٨.

البقرة، آية ١١.

دولة الغرب
١ يجب ان
ة، ويضع
هذا العالم،
حقيقة"، في
ضارية بين
١ فرانسيس
يعتبره من
الاشتراكية
والمشروع
حت نهائية،
لقادمة التي
في النموذج

ن كان يقوم
ب ان تكون
٤)، وهو ما
حيث يشكل
غياً حدوده
نيات متعددة
اعادة بناء
غ الارهاب

لامارتية، الع

المبحث الأول

ماهية حقوق الإنسان:

قبلولوج في حقوق الإنسان تعريفاً ومفهوماً، نجد من الضروري الإلمام بمطلوب الحق والإنسان وعلى الشكل الآتي:

١. الحق:

الحق في اللغة: أصله المطابقة والموافقة، وهو ضد الباطل، وحقائق الشيء ما حق وثبت^٤. أما اصطلاحاً: فالحق يعني الثبوت الواقعي أو الاعتيادي الناظر إلى مصلحة واقعية، الذي لا يتغير لوح الواقع والاعتبار حين ثبوته سواء أدركه الذهن الإنساني أم لا، وسواء أعلنته الشرائع والقوانين الاجتماعية أم لا؛ لأنه معنى واقعي أو اعتبارياً ناظراً إلى مصلحة واقعية قبل إدراك الذهن الإنساني، وقبل الصياغة التشريعية أو القانونية له أنه حق^٥.

٢. الإنسان:

الإنسان كائن تتفاعل فيه بشكل متوازن جوانب جوهرية ثلاثة هي:

١. "العقل" كونه محور القيمة الإنسانية وفيه تدرك قوة الإدراك.
٢. "العواطف والمشاعر" كالحب والبغض والغضب والسرور... الخ، وهي تحقق للنفس صورة التفاعل والانفعال.
٣. "الإرادة" التي تعبر عن الاختيار بحدوده الإنسانية والتي تكمن وراء السلوك الإنساني بمعنى الفعل والترك^٦.

٣. تعريف حقوق الإنسان:

أن موضوعاً شائعاً كموضوع حقوق الإنسان، ليس من السهولة إيجاد تعريف جامعاً مانعاً يحيط به، ولم يجمع الفقهاء على تعريف يمكن الركون إليه أو يغطيه كونه نسبي ويرتبط بثقافة أو فلسفة المجتمع، وعلى الرغم من ذلك هناك محاولات جادة للتقرب من الموضوع وعلى الشكل الآتي:

١. مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة بطبيعته، التي تظهر موجودة، وإن لم يتم الاعتراف بها، بل أكثر من ذلك حتى وأن انتهكت من قبل سلطة ما^٧.

^٤ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ٥، باب ما أوله الحاء (مادة حق).

^٥ فؤاد كاظم المقدادي، رسالتنا الإسلامية بين الأصالة والتغريب، مجمع الثقلين العلمي، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٨١.

^٦ المصدر نفسه، ص ٨١ - ٨٣.

^٧ محمد سعيد مجذوب، الحريات العامة وحقوق الإنسان، مطبعة طرابلس، بيروت، ١٩٨٦، ص ٩.

٢. قدرة الإنسان على اختيار تصرفاته وممارسة نشاطاته المختلفة دون عوائق مع مراعاة القيود المفروضة لمصلحة المجتمع^٨.
٣. مجموعة الحقوق والمطالب الواجبة الوفاء لكل البشر على قدم المساواة دونما تمييز فيما بينهم^٩.
٤. وقد عرفها فان بوفن^{١٠} ((الحقوق التي تتجاوز الإطار الوضعي، ولا يحتاج أعمالها إلى تشريع وضعي وطني، لأنها من القواعد الأساسية في المجتمع الدولي وكل دولة تتخلى عن هذه القواعد تعد دولة في قائمة الدول الاستبدادية))^{١١}.
٥. هناك من ينظر إليها على أنها فرع خاص من العلوم الاجتماعية يستهدف دراسة الروابط بين الناس لتحقيق الكرامة الإنسانية بتحديد الحدود والمكانات التي تعد بمجموعها ضرورية لإنماء شخصية كل كائن بشري^{١٢}.
٦. أوانها : مزيجاً من القانون الدستوري والقانون الدولي، مهمتها الدفاع بصورة منظمة قانوناً عن حقوق الشخص الإنساني ضد انحرافات السلطة الواقعة من أجهزة الدولة، وإن تنمو بصورة متوازية معها الشروط الإنسانية للحياة والتنمية المتعددة الأبعاد للشخصية الإنسانية^{١٣}.
٧. تلك الحقوق اللصيقة بالإنسان والمستمدة من تكريم الله له وتفضيله على سائر مخلوقاته والتي تبلورت عبر تراكم تاريخي من خلال الشرائع والأعراف والقوانين الداخلية والدولية، ومنها تستمد وعليها تبنى حقوق الجماعات الإنسانية في مستوياتها المختلفة ، شعوباً وأماً ودولاً^{١٤}.

الإمام

ن الشيء
أظر إلى
له الذهن
واقعيًا أو
الصياغة

ي تحقق

السلوك

إيجاد تعريف
يغطيه كونه
لات جاد

تي تظل

ت من قبل

العلمي، بغداد

١٩٠، ص ٩

٨. روسكو باوند، ضمانات الحرية في الدستور الأمريكي، ترجمة محمد لبيب، دار المعرفة، القاهرة ١٩٥٧، ص ١١.
٩. المصدر نفسه.
١٠. تيودور فان، معايير التفريق بين حقوق الإنسان، مجلد الأبعاد الدولية لحقوق الإنسان مجموعة ترجمين، اليونيسكو، ١٩٧٩، ص ٤٦.
١١. نقل عن، عزت سعد السيد البريجي، حماية حقوق الإنسان في ظل التنظيم الدولي الإقليمي، طبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٤.
١٢. إبراهيم أحمد عبد السامرائي، الحماية الدولية لحقوق الإنسان في ظل الأمم المتحدة، أطروحة ترواح، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص ٩.
١٣. صلاح حسن مطرود، السيادة وقضايا حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٤٤.
١٤. محمد عبد الله الدوري، حول انتهاكات حقوق الإنسان في إيران، مجلة الحقوق، الأعداد (١-٤) سنة ١٦، بغداد، ١٩٨٤، ص ٢٣٧.

وتحتاج حقوق الإنسان لتحقيقها ثلاثة شروط أساسية هي^{١٥}:

١. وجود مجتمع منظم في دولة قانونية.
 ٢. توفر الإطار القانوني المسبق الذي تمارس في ظله هذه الحقوق، فضلاً عن المرونة التي تمكن المجتمع من مواجهة الظروف الخاصة المحتملة.
 ٣. توفر الضمانات القانونية التي تمنع الممارسات اللاقانونية، وتمكن الفرد من المطالبة بحقه في حالة تحقق انتهاكها كلاً أو جزءاً.
- إن حقوق الإنسان هي الحقوق التي يمتلكها جميع الأشخاص، بحكم إنسانيتهم المشتركة، لكي يعيشوا في حرية وكرامة، وهي تمنح جميع الناس حقوقاً معنوية فيما يتعلق بسلوك الأفراد وفيما يتعلق بتصميم الترتيبات الاجتماعية وهي شاملة ولا يمكن التصرف فيها ولا يمكن تجزئتها. وحقوق الإنسان تعبر عن أعظم التزاماتنا بكفالة أمن الجميع وتمتعهم بالخيرات والحريات اللازمة لكي يحيا حياة كريمة. كما أن حقوق الإنسان تنتمي لجميع الناس، وجميع الناس يتساوون فيما يتعلق بهذه الحقوق.. فهو ليس أفضل أو أسوأ تبعاً لجنس الشخص أو عنصره أو أصله العرقي أو قوميته أو أي تميز آخر^{١٦}.

أن القول عن حقوق الإنسان بأنها حقوق طبيعية لا ارتباطها الوثيق بطبيعة الإنسان، وأنها منبثقة من صميم ذاته، ومن ثم فهي غير قابلة للتصرف، وليس منحه من سلطة معينة، إنما هي حقوق أساسية من حقوق البشر الطبيعية التي فطر الإنسان عليها.

أن حقوق الإنسان غير قابلة للتصرف: فليس من الممكن أن يسلبها آخرون، ولا يمكن أن يتنازل عنها طوعاً.. كما أنها غير قابلة للتجزئة فلا يوجد ترتيب هرمي بين مختلف أنواع الحقوق، فالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ضرورية جميعاً على قدم المساواة لكي يحيا المرء حياة كريمة، كما لا يمكن قمع بعض الحقوق تعزيراً لحقوق أخرى؛ فالحقوق المدنية والسياسية لا يمكن انتهاكها تعزيراً للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولا يمكن قمع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تعزيراً للحقوق المدنية والسياسية^{١٧}.

لقد شهدت "حقوق الإنسان" تحولاً كبيراً في مسألة الاعتراف بها، نقلها من الدائرة الوطنية الضيقة ترتبط بقيم وفلسفة وأماني شعب بعينه إلى الأطر والآفاق الإقليمية والدولية. أي أن قضية حقوق الإنسان لا تخضع لسياسة كل دولة على حدة.

15 الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، نيويورك

ص ١٦.

16 المصدر نفسه، ص ١٦.

17 فؤاد كاظم المقدادي، المصدر السابق، ص ٨٢ - ٨٣.

ولما أصبح الدور للمنظمات الدولية ضمن حركة دولية وميدان عمل جماعي حي لحماية حقوق الإنسان من خلال الكثير من المنظمات الدولية التي تتبنى ذلك.

المبحث الثاني

الإسلام وحقوق الإنسان

١- نظرة الإسلام إلى حقوق الإنسان:

أن الذي يميز نظرة الإسلام إلى الإنسان وحقوقه عن غيره من الأفكار وفلسفات والطروحات الوضعية، هو أن دائرة حركة الإنسان بجوانبه وقواه الجوهرية، لا يقتصر على عالم المادة المحسوسة، بل يشمل كذلك عالم ما وراء المادة (عالم الغيب) فالإنسان يحيط به عالمان واقعيان: عالم المادة المحسوسة؛ وهو عالم فان وعالم الغيب" وهو خالد مهيمن كامن وراء العالم المادي.

أن معادلة اكتشاف حقوق الإنسان في الإسلام تتقوم بأمرين أساسيين هما^١: أولاً: إدراك حقيقة موضوعها المتمثل بالإنسان في كونه موجوداً ذا فطرة متميزة "فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" وبقواه الفطرية بمحورية العقل، وكونه أيضاً يتحرك في عالمين "مادي ومعنوي".

ثانياً: إدراك حقيقة المحمول المتمثل بالحقوق الإنسانية في كونها ثوابت واقعية تكتشف من خلال معرفة حقيقة الإنسان وواقعه وعالميه الذين يتحرك في دائرتها.

وعليه فإن أية دعوى لاكتشاف حقوق الإنسان وتقنينها وتنظيمها لا تأخذ بالاعتبار لهذين المقومين، هي دعوى لا تتوفر فيها شروط إصابة الحقيقة، وأية لائحة يخطر فيها حقوق الإنسان لا تأخذ بالاعتبار حيثية الإنسان الذاتية، في كونه كائناً قائماً على الفطرة المتميزة، أو انهما تنظران إلى الإنسان محجوراً وأسيراً في دائرة عالم مادي محدود، هي لائحة ناقصة في أصابتها للواقع، لكونها تستقط من الحساب حقوقاً أساسية لاغنى لإنسان عنها، وبهذا ستفتح عليه باب الظلم والحيث، سواء أدركت ذلك وحسنه أم لا.

أن حركة حقوق الإنسان التي نشطت في أعقاب الحرب العالمية الثانية. بطرت في ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ والإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ وغيرها من المواثيق الدولية، فإن الشريعة الإسلامية قد أقرت هذه الحقوق منذ أربعة عشر قرناً، ويذكر الشيخ محمد الغزالي "أن آخر ما أملت فيه الإنسانية من قواعد وضمانات لكرامة الجنس البشري كان من أبجديات الإسلام، وأن إعلان الأمم المتحدة

لا عن

رد من

ب، بحكم

ح حقوقاً

هي شاملة

لتزاماتنا

مة. كما

بق بهذه

العرقى أو

ق بطبيعة

نحه من

عليها.

ها آخرون،

ب هرمي

اجتماعية

كما لا يمكن

انتهاكها

اقتصادية

ا، نقلها من

والآفاق

على حده.

٢، نيويورك

١ محمد الغزالي، حقوق الإنسان في الإسلام بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، بلا ط ٣، ١٩٨٥، ص ٩.

عن حقوق الإنسان، ترديدا عاديا للوصايا النبيلة التي تلقاها المسلمون عن الإنسان الكبير الرسول الخاتم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)^{١٩}. ويمكن ان نذهب إلى أبعد من ذلك، إذ نجد ان حقوق الإنسان في الإسلام أكثر شمولية وعمقا من تلك المبادئ المثبتة في المواثيق الدولية، ليس فقط لأنها تقتقر إلى الدوافع والعوامل الذاتية والموضوعية للالتزام بها وتطبيقها على أرض الواقع فحسب، إنما يُحاول المنادون بها أن يخفوا خلف شعاراتهم تلك، حجم الظلم والفساد والعدوان واحتلال الدول أو تهديدها من خلال الاستخدام السياسي لحقوق الإنسان كما سنشير لذلك في المبحث الثالث. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن مفهوم الحياة يختلف بين ما يطرحه القانون الدولي لحقوق الإنسان وبين ما يعلنه الإسلام؛ الذي يرى أن الحياة تبدأ ببعدها المادي والمعنوي من حيث تكون الجنين في رحم الأم فلا يحق لأي أحد قتله بالإجهاض مثلا بغير ضرورة، ويتواصل ذلك بعد الموت قيمة معنوية. فلإنسان حق في أن يحترم بعد موته في جنازته ومدفنه، ولا يحق لأحد انتهاك حرمة فيها، بالتشريح لجسده، أو النش لبقبره بدون ضرورة تقتضيه ولا التمثيل به، إذ يعلن الإسلام حرمة التمثيل حتى بالكلب العقور^{٢٠}. وفي الحديث النبوي الشريف، إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا في ثلاث: (صدقة جارية وعلم ينفع به وولد صالح يدعو له)^{٢١}.

كما أن الكرامة الإنسانية في الأنظمة الوضعية محدودة في دائرة الأصل الأولى للإنسان كموجود وكائن عاقل في هذه الحياة وهي قيمة مشتركة بين الناس جميعا، ولكن في الإسلام يذهب إلى أبعد من ذلك، إلى القيمة المكتسبة التي يحصل عليها الإنسان بحركته التكاملية ضمن مساريها المعنوي الخلاق للنفس الإنسانية والتصديقي العملي البناء للحياة الاجتماعية. فمن المعلوم أن هناك فرقا كبيرا بين فرد عظيم بعلمه وخصاله الأخلاقية العالية، التي أكسبها بجهد وجهاده، والتي ملكته قدرة أداء دور إنساني بقاء وإصلاح كبير في بناء الحياة وإثرائها، وبين فرد عادي لم يكتسب شيئا في ذلك، ولم يترك أثر بناء في الحياة.. ففي الإسلام حقوقا للكرامة المكتسبة، لا تجدها غالبا في القوانين الدولي لحقوق الإنسان، كحقوق الكرامة للعلماء (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين يعلمون)^{٢٢}.

19 فؤاد المقدادي، المصدر السابق، ص ٨٨.

20 الحافظ المنذري، الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٦١٢.

21 فؤاد المقدادي، المصدر السابق، ص ٨٩.

22 النساء آية ٢.

الإنسان

الإسلام

أنها تفتقر

الواقع

والفساد

مان كما

ياة يختلف

يرى أن

يحق لأي

معنوية،

هاك حرمة

، إذ يعلن

، إذا مات

الح يدعو

رة الأصل

بين الناس

ي يحصل

الإنسانية

ه الأخلاقية

اء وإصلاحي

لم يترك أثر

في القانون

ون والذين لا

إن الإسلام أمتاز عن القانون الدولي لحقوق الإنسان في نظرته إلى الإنسان، من حيث القيمة كإنسان، ومن حيث الحقوق التي منحها إياه ببعدها المادي والمعنوي.. وفيما يتعلق بجانب القيمة نلاحظ ذلك في الأمور الآتية:

أولاً: بيانه لوحدة الأصل الإنساني.. كلكم لآدم وآدم من تراب. وكما جاء في القرآن الكريم ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها))^{٢٣}.

ثانياً: عدم التفاضل بين الناس، بالعنصر أو اللون أو اللسان، وإنما التفاضل بالتقوى، وهذا البعد المعنوي لم يأخذه القانون الدولي لحقوق الإنسان بالاعتبار ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم))^{٢٤} وفي الحديث الشريف (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى).

ثالثاً: تكريم الإنسان ورفع قدره ((ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً))^{٢٥}.

لقد منح الإسلام الإنسان الحقوق التي تتطلبها الحياة الإنسانية الكريمة التي تجعل منه خليفة الله في الأرض ((ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون))^{٢٦}.

وهناك العديد من الحقوق والحريات الأساسية التي أحاطها الإسلام بكل الضمانات والقواعد الواضحة والصريحة والملمزة كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن أبرزها حقوق العائلة بما تشمله من حقوق الوالدين والأولاد وصلة الرحم، إذ يجعل من الوالدين أولياء رساليين على أولادهم في التربية والتعليم والإعداد، ومن الأولاد أوفياء مطيعون لهم.. وهكذا في دائرة الأرحام، إذ تتأكد المسؤولية الرسالية وحقوقها في الأقرب فالأقرب، وهذا ما نفهمه من سياق الآيتين الكريمتين ((وقضى ربك ألا تبعدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً))^{٢٧} ((واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً))^{٢٨} لذا فأنا لآنجد في القانون الدولي لحقوق الإنسان أي اهتمام بهذه الحقوق.

٢٣- النساء آية ١.

٢٤- الحجرات آية ١٣.

٢٥- الإسراء آية ٧٠.

٢٦- الحج آية ١٠٥.

٢٧- الإسراء آية ٢٣.

٢٨- النساء آية ١.

نظرة الإسلام للعلاقات الإنسانية والدولية :

ان العلاقات الإنسانية والدولية في الإسلام تخضع لمجموعة مبادئ أساسية مستمدة من أحكام القرآن والسنة النبوية. وأن هذه المبادئ من شأنها أن تقيم للجماع الدولية قانوناً دولياً يضمن السلم لكافة الشعوب، فالحالة الطبيعية في العلاقات هو السلم الذي أمر به الله في قوله تعالى ((وأن جنحوا للسلم فاجنح لها))^{٢٩} لذلك كانت الحال الشاذة لتلك العلاقات هي الحرب لأنه، في نظر الإسلام. أن الدولة التي تعلن السلام ولا تريد الحرب لا يجوز محاربتها^{٣٠}، كما منع الإسلام عن العدوان في قوله تعالى ((ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين))^{٣١} كما دعا إلى توطيد السلم بين الدول والشعوب في قوله ((وأدخلوا في السلم كافة))^{٣٢}.. وتطبيقاً لهذه الأحكام الإسلامية يمكن أن نقيم العلاقة بين الدولة الإسلامية والحبشة، فكانت حقاً مثالاً للعلاقات الودية فالسياسة الخارجية للدولة الإسلامية تجاه الحبشة خلال القرون الأولى من العصر الإسلامي تمثل سابقة لا مثيل لها. إذا اعتبر المسلمون الحبشة ولقرون طويلة أنها مصنوعة من الجهاد، وامتنعوا عن مهاجمتها، ولم يفكروا في ذلك، ولعل السبب وراء ذلك، هي أن الحبشة قد اعترفت، ومنذ البداية بالدولة الإسلامية الناشئة بطريقة ودية ولم تتخذ سياسة هجومية ضدها^{٣٣}. كما شكلت الحبشة مكاناً آمناً للمسلمين الأوائل بعد اضطهاد قريش واضطرارهم للهجرة إلى الحبشة كما أمرهم في ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). كما يمكن أن نفهم طبيعة العلاقة الإنسانية بين المسلمين وأهل الكتاب، من خلال العقد الذي أقره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع نصارى نجران، بعد أن وفدوا على المدينة المنورة ليعارضوا الرسول ويحاجوه في أمر عيسى بن مريم (عليها السلام).. وجرى بينهم حوار طويل، إلى أن فصلت في الأمر الآية الكريمة ((فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين))^{٣٤}. فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في أوج قوته وانتصاراته على قريش وغيرهم: فبأهلوني فإن كنت صادقاً أنزلت اللعنة عليكم وإن كنت كاذباً أنزلت عليّ فقالوا: أنصفت فتواعدوا للمباهلة، فلما حضر رسول الله (صلى

29 الأنفال آية ٦١.

30 كاظم هاشم نسمة. الوجيز في تاريخ العلاقات الدولية، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٢.

ص ١٥.

31 البقرة ١٩٠.

32 البقرة آية ٢٠٨.

33 صلاح عبد الرزاق، العالم الإسلامي والغرب، دراسة في القانون الدولي الإسلامي، مؤسسة

الإسلام، لندن، ٢٠٠٠، ص ١٦٠.

34 آل عمران آية ٦١.

الله عليه واله وسلم) وأهل بيته ليوم المباهلة، ولكن نصارى نجران تراجعوا، وقالوا لرسول الله نعطيك الرضا فأعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله^{٣٥} وأقرهم على م الجماعة حياتهم وحمايتهم ضد أي عدوان يقع عليهم، نفهم ذلك من قوله (صلى الله عليه واله ، هو السلام) (ولا يظأ أرضهم جيش)^{٣٦}.

وقد تعاطف المسلمون مع الروم ضد الفرس على الرغم من موقفهم من الحالة ن السلام المسلمين ففي أثناء الصراع بين الدولتين، وخسارة الروم للمعركة أمام الفرس، أساء الله تعالى المسلمون لذلك، لكون الروم البيزنطيين من أهل الكتاب، وهذا الذي دفع المسلمون إلى ين الدول التضامن والتأييد للروم وهذا ما نفهمه في سياق الآية الكريمة ((الم. غلبت الروم في إسلامية أنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد نات الودية ويعمذ يفرح المؤمنون))^{٣٧}.

كما كفل الإسلام الحرية الفكرية، فالإنسان حر في ان يختار ما يشاء من علة أنها عبة أو يريد من فكر، انطلاقاً من قوله تعالى ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من سبب وراء الغي))^{٣٨} وفي ذلك نفي للدين الإجباري، كون الدين هو سلسلة من المعارف العلمية طريقة ودية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات والاعتقاد والأيمان من الأمور القلبية الأوائل بعد التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار.. وعن ابن عباس (رضي الله عنه) أن المرأة من الله (صلى الله عليه واله وسلم) لا يكاد يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها أن عاش لها ولد أن مين وأهل مدين فلما أجليت بنوا النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لاندع أبنائنا، ومنهم ع نصارى من أكره أبناءه على الإسلام^{٣٩} فأنزل الله عز وجل ((لا إكراه في الدين))^{٤٠}. ومن ذلك ، أمر عيسى يمكن ان نفهم أن الحرية الفكرية الإسلامية، فيها من الحرية والالتزام، فليس حرية لأمر الآيات سلطة تفسح المجال للفوضى أن تتحرك في حياة الناس وأفكارهم، من دون حماية لهم ما وأبنائك من عوامل الضلال أو عناصر الضعف، أو رعاية لعقيدتهم أن تنمو في جو طبيعي، وليس التزاماً مطلقاً يغلق عليهم نوافذ التفكير أو يحجر عليهم أن يطلعوا على الأفكار أوج قوتها المضادة التي يفكر بها الآخرون.. فمن حق الإنسان أن يفكر كما يريد ويتبنى ما يريد. عليكم والى الله هو وحده- الذي يتحمل مسؤولية عقيدته وفكره، ولكن، من حق الدعوة ان تدافع ل الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن نفسها وفكرها.

بغداد، ١٩٩٢ محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٩٧٢، ص ٢٢٦-٢٢٩.

نظم هاشم نعمة، المصدر السابق، ص ٢٢.

الروم آيات ١ - ٥.

البقرة آية ٢٥٦.

محمد حسين الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٣٤٢ - ٣٤٧.

الكهف، آية ٢٩.

بهذه المبادئ والقيم انتشر الإسلام وعم المعمورة، كونه دين رحمة، حرر الإنسان من العبودية والظلم والطغيان تقبلته النفوس الصافية من دون إكراه.. ودليلنا على ذلك اعتناق اندونيسيا الإسلام.. إذ يعد القرن الثالث عشر الميلادي بداية العصر الإسلامي في اندونيسيا، وكان انتشار الإسلام بين السكان سلمياً ومتدرجاً، لكنه ثابت ومستمر في الانتشار وقد يندهش المرء إذا راجع حقيقة ذلك، وكيف أصبح الإسلام في المركز الأول وأصبحت الأغلبية الساحقة من السكان تدين بالإسلام. على الرغم من أن هذه الجزر تبعد عن منبعه الأصلي آلاف الأميال. وأصبحت اندونيسيا خلال فترة من الزمن أكبر دولة إسلامية في العالم، إذ وصل نفوسها إلى ٢١٠ مليون نسمة وأن نسبة المسلمين فيها قد تصل إلى ٩٠%.. وقد جاء ذلك الانتشار عن طريق التجار المسلمين من عرب حضر موت أو تجار بلاد فارس أو عن طريق تجار الهند المسلمين بعد أن توطد الإسلام فيها كقوة حاكمة وبخاصة سواحل "كرومانل"٤١.

يقول المؤرخ توماس أرنولد: في القرن الثاني عشر، جذب الإسلام الكثير من الصليبيين، الذي اعتنقوه. ولم يقتصر ذلك على الناس العاديين: بل الأمراء والقادة ففي الليلة السابقة لمعركة حطين، التي أنتصر بها صلاح الدين على الملك الصليبي غي دو لوزينيان ملك القدس وتمزق جيشه البالغ ٢٠,٠٠٠ مقاتل ووقع الملك أسيراً اعتنق الإسلام ستة أمراء من مملكة القدس، والتحقوا بقوات العدو (المسلمين)، دون إكراه٤٢.

المبحث الثالث

حقوق الإنسان وسلوك الغرب

١. النظام السياسي القائم في الغرب:
قبل أن يأخذ النظام القائم على الديمقراطية الليبرالية مظهرها عملياً سبق تيارات فكرية تدعو إلى النظام الديمقراطي، حيث السيادة للشعب، ولكن أنظمة الحكم المطلقة لم تتأثر سريعاً بالحركة الفكرية، تلك الحركة التي استمرت تسير في طريقها نحو التطور والتقدم حتى جاء القرن الثامن عشر فكانت النهضة الصناعية وانهيار النظام الإقطاعي وقيام طبقات جديدة من التجار والصناع وأرباب الحرف وأصحاب

٤١ مصلح خضر شرقي، سياسة اندونيسيا الخارجية تجاه العراق ١٩٨٠ - ٢٠٠٠، رابطة ماجستير، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠١ ص ١٥ - ٢٤.
٤٢ محمد حسن فضل الله، كتاب الجهاد، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٦، ص ٨ - ١٠.

الرسائل. فاستغلوا هذه الحركة الفكرية ودعوات الداعين إلى التغيير من أجل انتزاع السلطة لحماية حقوقهم الوليدة، من أجل الحد من سلطة الدولة^{٢٠}. وبهذا اكتسبت فكرة الديمقراطية قوة لا غالبية لها. إذ انتقلت من نطاق الثقافة والنظريات إلى دائرة القانون الوضعي والتطبيق العملي وان تكون حقيقة سياسية، وقد تبلورت تلك الأفكار بصفة رسمية في إعلان الحقوق الأمريكية والفرنسية، وقد تضمن إعلان استقلال الولايات المتحدة الصادر سنة ١٧٧٦، وكذلك حقوق الإنسان الصادر سنة ١٧٨٩ عقب الثورة الفرنسية، مؤكداً أن هدف كل جماعة سياسية هو المحافظة على حقوق الإنسان الطبيعية الثابتة^{٢١}. فالسيادة للشعب وليس لأي فرد أو هيئة أن تتولى سلطة ليس مصدرها الشعب.. لذلك يمكن القول أن الأساس القسفي للديمقراطية الليبرالية هو المذهب الفردي وما بني عليه من نظرية للحقوق والحريات الفردية الطبيعية.

وقد قامت الديمقراطية الرأسمالية: على الإيمان بالفرد أيماناً لا حد له، وبأن مصالحه الخاصة بنفسها تكفل مصلحة المجتمع في مختلف الميادين، وأن فكرة الدولة الصليبي إنما تستهدف حماية الأفراد ومصالحهم الخاصة فلا يجوز لها أن تتعدى حدود توفير الأمن الداخلي والدفاع عن أمن البلد وتحقيق العدل.

ويتلخص النظام القائم في الغرب الرأسمالي في إعلان الحريات السياسية والاقتصادية والفكرية والسياسية. وكان هذا النظام. نظام مادي خالص. كان مشبعاً بروح المادية الطاغية، وكان من جراء هذه المادية التي زخر النظام بروحها: أن نصبت الأخلاق من الحساب. وأعلنت المصلحة الشخصية كهدف أعلى والحريات صعباً كوسيلة لتحقيق تلك المصلحة، فنشأ عن ذلك أكثر ما ضج به العالم الحديث من سجن وكوارث ومآسي ومصائب.

لياً سابقاً - سلوك الغرب الاستعماري بعد حركة الاستكشافات التي بدأها البرتغاليون، في القرن الخامس عشر، في طريقها وكشف العالم الجديد، وبداية النهضة الأوروبية الحديثة بعد الثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر.. وبعد اختراع واستخدام الآلة البخارية وتطور وسائل وأصحاب الإنتاج وأدوات التصنيع وما تلاها من تطور صناعي ضخم ومتتابع، كان لابد أن ينعكس على غايات وأهداف الدول الاستعمارية.

٢٠٠٠، رستا محمد عصفور، الحرية بين الفكرين الديمقراطي والاشتراكي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦١، ص ٧٥. ٢٠٠١، نداد، ثروت بدوي، النظم السياسية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤، ص ٣١٠ - ٣١٥.

والعلاقة مع الغرب ككل، تحكمه الرغبة في الهيمنة والسيطرة والاستعمار. فلذلك تجد الغرب الذي أنتج عصر الأنوار ورفع شعار الحرية والعقلانية.. هو أيضاً الغرب المستعمر والإمبريالي الذي قام بإبادة الشعوب وقاد إلى حربين عالميتين راح ضحيتها الملايين من البشر.

ولنتوقف هنا عند بعض سلوك الغرب:

١. يقول "هوش منه" مؤسس جمهورية فيتنام الشعبية مدة ثمانين عاماً حضرت إليه العصابات الاستعمارية الفرنسية رافعة العلم ذا الألوان المعبرة عن الحرب والمساواة والإخاء، واقتحموا إقليمنا وعصفوا بشعبنا ولم تمنحنا فرنسا أية حرب سياسية، بل وضعت تشريعات بربرية، وأنشأت السجون حتى زاد عددها عدد المدارس، وعملت على نشر الأفيون والخمور ليتمكنوا تحقيق جنسنا^{٤٥}.
٢. ويمكن القول أنه لم تنشذ دولة من دول أوربا عن تجارة الرقيق، البرتغال أسبانيا فرنسا، ألمانيا، السويد، وكان لإنكلترا، الحق في احتكار ومطاردة العبيد ونقلهم وبيعهم^{٤٦} ويرى بعض الباحثين أن عدد الزوج الذين اقتنصوا وأخرجوا من ديارهم لا يقل عن مائة مليون، لم يصل منهم إلى العالم الجديد إلا نسبة قليلة جداً حيث كانوا يموتون سواء في البر وفي البحر وهم مكسبون في قاع السفن، يرمون في عرض البحر عندما تتعرض السفينة للخطر^{٤٧}.
٣. في رسالة "سيسيل رودس" الذي أسس شركة جنوب أفريقيا البريطانية يقول "أن لا يريد أن يوجد الإنسان في أحسن هيئة.. ولكي يتحقق هذا الهدف يجب أن يجهز الجنس-انكلو ساكسوني-نفوذه على أكثر ما يمكنه من الأرض^{٤٨}. إن أعلام الفكر الغربيين كافة لم يخرجوا عن فكرة السيطرة والاستعلاء، فمثلاً: نجد "فولتير" و"مونتسكيو" قد تحدثوا عن الحضارات، ولم يكن لديهم شك في سيادة الحضارة الغربية، وموقعها القيادي الطبيعي، وكان "فولتير" ينطلق من المبدأ العنصري في تكوين عقيدته القائلة: بأن الزوج بالذات غير قابلين لأيّ تحضر.. وكان "سيمون" يرى أن أوربا المنظمة وفق طريقته ستمدّ نعمة التقدم^{٤٩} إلى العالم، وتعد

٤٥ محمد مصطفى، نجيب الياس، الدول النامية ومشاكلها، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٥.

٤٦ صبري أبو المجد، الاستعمار والاستغلال والتخلف، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٢٥.

٤٧ محمد صبري، الإمبراطورية السودانية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٨ هامش ص ٢٦٦.

٤٨ شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٤٢.

٤٩ حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتدهورها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨، ص ٤١.

الأرض بسكان من العنصر الأبيض، الذي هو أرقى من الأجناس الأخرى. ويرجع إلى أصل آري أو هندي أوربي، وهذا الجنس هو الموهوب الذي ساد أهل المعمورة بامتيازته البدني والذهني وأخرج عباقره مثل زرادشت وبوذا، وأطلع العقيدة الفنية عند الإغريق والعقيدة السياسية عند الرومان، وأخرج آخر الأمر أهل الغرب الأوربي. وهذا الجنس الشريف النبيل - بزعمهم - هو الذي صنع كل ما هو عظيم في حضارة البشر.^{٥٠}

وتناول الألمان هذا الوهم. وما زالوا يحورون فيه حتى استبدلوا مصطلح الجنس الهندي الأوربي بمصطلح الهندي الجرمانى، وجعلوا الموضوع الذي تربت فيه من فصائل هذا الجنس، بوميرانيا وهي مهد بروسيا وملكها.. ولكن أرنولد تسوينبي هم هذه النظرية من أساسها بطريقته الفذة في نقد القضايا بميزان الإحصاء الذي يطىء^{٥١}.

في أسبانيا التي كانت تحت الحكم العربي الإسلامي حتى عام ١٤٩٢م تاريخ سقوط غرناطة. صدر قرار ملكي عام ١٥٠١م يضع المسلمين بين خيارين: التصر أو مغادرة أسبانيا، وبدأت حملات التنصير واستخدام العنف والشدة في معاملة المسلمين. فذاقوا صنوف العذاب والإرهاب والتمييز.. وفي عام ١٥٢٦ أصدر الإمبراطور "شرلمان" قرارات تقضي بإكراه المسلمين على ترك ملابسهم الخاصة بهم ولبس القبعات والسرراويل الأسبانية. وحضر عليهم التكلم بالعربية.. وأخذت محاكم التفتيش على عاتقها تنفيذ هذه القرارات ومطاردة المطلوبين والتفتيش عن عقائدهم وملاحقة من يمارس الشعائر والسنن الإسلامية بين "المورسكين" الذين اضطروا لإعلان تنصرهم، وأخفوا إسلامهم خوفاً من التعذيب والحرق الذي كان من الأساليب المشهورة لمحاكم التفتيش الأسبانية، وكانت محاكم التفتيش تحرق بالنار من لم تثبت نصرانيته. وحين رأى بعض الأساقفة تفاقم الأعمال الوحشية بحق المسلمين فراسلوا البابا في روما سائلين إياه عن جواز التصر تحت التهديد بالموت والحرق، فأجابهم البابا "يونيغاس الثامن" بالفتوى - العربية - الآتية "التهديد بالموت لا يعد إكراهاً يبطل مشروعية التصر. وإن الإكراه لا يكون إكراهاً إلا إذا سيق المسلم إلى المعمودية ويدها موقعتان ورجلاه مقيدتان، وكان يصيح بأعلى صوته محتجاً على هذا العمل"^{٥٢}.

مقابل ذلك، عندما انتهى الحكم العثماني في أوربا، وكما يذكر ذلك شاخت وبوزرث: كانت الأمم المسيحية التي حكمها العثمانيون خلال عدة قرون لا تزال هناك: بلغاتها وثقافتها ودياناتها وإلى حد ما مؤسساتها، كل هذه الأمور بقيت سليمة وجاهزة لاستئناف وجودها الوطني المستقل، أما في أسبانيا وصقلية فليس فيها اليوم مسلمون أو ناطقون باللغة العربية^{٥٤}.

٥. عندما احتل نابليون مصر، أتبع سياسة براغماتية تميل إلى كثير من النفاق. فحاول التقرب من المسلمين ولبس العمامة، وصلى مع المسلمين.. وقد واجه نابليون عدة ثورات وانتفاضات شعبية. عندها أمر بتوجيه المدافع المصوبة في القلعة صوب الجامع الأزهر وما حوله من الدور والأسواق، وبدأت تدك المباني بالقنابل.. وفي المساء أحاط الجنود الفرنسيون بالجامع ثم دخلوا فيه، وأخذوا يأسرون من كان فيه من الثوار، ويعذبون به وبمحتوياته. وعندما ذهب شيوخ الأزهر لمقابلة نابليون يرجونه الكف عن انتهاك الجامع وقتل الناس، فأخذ يلومهم ثم أعلن العفو عنهم، ولكن عفواً ظاهرياً، إذ أنه أصدر أوامره بقتل كل من قاد الثورة أو شارك فيها، وكان من أوامره لأحد قادته: تفضل أيها القائد بأن تأمر "قومندان" القاهرة بقطع رؤوس جميع المسجونين، ولنلقي جثثهم المقطوعة الرؤوس في النهر.. هكذا تصرف القائد المتتور بمبادئ الثورة الفرنسية. إذ حمل معه المقصلة (الجيلوتين) التي أصبحت من أبرز معالم الثورة الفرنسية. وأعد عشرات من شيوخ الأزهر وطلابه دون محاكمة أو تحقيق^{٥٥}.

٦. أن اندحار فرنسا المشين في "ديان بيان فو" سنة ١٩٥٤ لم تضع نهاية لتصلب وظلم فرنسا في أماكن أخرى، فشاركت بالعنوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦. كما تفننت فرنسا في استخدام القسوة والتعذيب والقتل والتشريد لتخطيط إرادة الجزائريين^{٥٥}، وقد كلف نضال الشعب الجزائري لإخراج المستعمر البغيض أرواح مليون شهيد، في النهاية أدركت فرنسا الكلفة المادية والمعنوية، كما أدركت ضرورة الأقدام على تنازلات سياسية، لينال الشعب الجزائري استقلاله.

٧. قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين بمباركة بريطانية ومن ثم دعماً أمريكياً منذ أن بدأت الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين بعد مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ وصدور وعد بلفور عام ١٩١٧ وصولاً إلى قرار التقسيم عام ١٩٤٧، وعلى

^{٥٤} شاخت وبوزرث، تراث الإسلام، الجزء الأول، ترجمة محمد زهير السهموري وآخرون، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ط٢، ١٩٨٨هـ، ص ٢٨٦.

^{٥٤} صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ١١٤ - ١١٦.

^{٥٥} بيتروسلي، العوالم الثلاث، الثقافة والتنمية العالمية، ترجمة صلاح الدين محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص ٥٤.

الرغم من أن العصابات الصهيونية منذ أن وطأت أقدامها أرض فلسطين، وأساليب القمع والقتل والتهجير وشراء الأرض بدعم بريطاني، بعد أن أخضعت فلسطين إلى الانتداب البريطاني، فلم تستطع العصابات الصهيونية أن تحصل من أرض فلسطين عشية قرار التقسيم إلا على نسبة ٦%، وقد منحها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ (٥٦%) من أرض فلسطين.. وقد تم تشريد شعب كامل خارج أرضه، بدعم أوربي أمريكي، لنقوم أكبر جريمة في تاريخ الإنسانية. وما يزال الشعب الفلسطيني يعاني الاضطهاد والقتل والحصار بغطاء أمريكي داعم للكيان الصهيوني وتعطيل كامل للقرارات التي صدرت عن مجلس الأمن الدولي لصالح القضية الفلسطينية منها قرارات العودة والانسحاب.. الخ

٣- السلوك الأمريكي في ظل المتغيرات الدولية

أدت الحرب العالمية الثانية إلى اضمحلال الدور الأوربي على المسرح الدولي لحساب القوتين الكبيرتين اللتين كانتا مؤهلتين ذاتياً وموضوعياً للإسهام في القياضية وكقوى دولية أمامية مؤثرة خارج حدودهما الإقليمية.. وقد أخذ هذا الامتداد إطاراً هيكلياً تمثل على شكل حلفين رسميين هما: حلف الأطلسي وحلف وارتو.. وقد أضحت الساحة الأوربية طوال الحقبة التي امتدت إلى عام ١٩٩٠ بؤرة الصراع الجيوبولتيكي بينهما وامتدت إلى الكثير من بلدان العالم الثالث. مرحلة انصرفت حوالي نصف قرن سميت بالحرب الباردة.. وفي هذه الحرب استطاع المعسكر الغربي من استنزاف المعسكر الآخر اقتصادياً وفلسفياً وصولاً إلى انهياره التام، كإعلان عن انتهاء مرحلة كاملة من مراحل الصراع الكوني من أجل القوة والسيطرة.. وأصبحت الولايات المتحدة تشكل القطب الأول في العالم. ووجدت الولايات المتحدة في انهيار الوضع الدولي الذي ساد طيلة مدة الحرب الباردة، كما مر ذلك الانهيار انتصاراً للأفكار والفلسفة الغربية وحقوق الإنسان.. إذ عد فرنسيس فوكوياما-المفكر الأمريكي من أصل ياباني في كتابه (نهاية التاريخ) انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية انتصاراً حاسماً للرأسمالية على الشيوعية، بعد أن شخّص المرحلة الراهنة في التاريخ وكأنها مرحلة انتصار نهائي للنموذج السياسي والفكري الليبرالي الذي يحظى-حسب ادعائه-بالقبول الواسع من أكبر قدر من الدول والمجتمعات في العالم^{٥٦}. وأكد فوكوياما مرة أخرى في كتابه (الثقة) أن هناك حركة من دول العالم نحو الأخذ باقتصاديات السوق والاندماج في التوزيع الرأسمالي العالمي

شاخنت
لا تزال
سليمة
باليوم

النفاق،
دواجه
وبة في
المباني
وأخذوا

ب شيوخ
خذ يلومهم
من قبل
بان تأمر
لمقطوعة
بة. إذ حمل
ة. وأعد

ة لتصل
عام ١٩٥٦
طيم إراند
البغيض
كما أدركت

عماً أمريكياً
عام ١٨٩٧
١٠، وعلى

ن، سلسلة
٢٨.

، دار الشؤون

للبيد العاملة وتكون هذه الحركة نهاية التاريخ وتطور المجتمعات الإنسانية التي تسير نحو الهدف النهائي هو النظام الرأسمالي الليبرالي^{٥٧}.
كما شن الغرب الرأسمالي بالتحالف مع الصهيونية العالمية، هجمة شرسة ضد العرب والإسلام بدعوى الإرهاب والتطرف والتخلف، وجاءت هذه الهجمة بعد إنهيار المعسكر الاشتراكي وانكشاف الحضارة العربية الإسلامية وجهاً لوجه أمام المعسكر الرأسمالي الغربي، خاصة بعد أن أعلن منظروه حتمية التصادم، وأن الإسلام يكون تحدياً وعامل صراع مستقبلي حاد لذلك دعا الأمريكي من أصل يهودي "صموئيل هنتغتون" إلى كبح تطور القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للبلاد الإسلامية^{٥٨}.

تحت هذه الذرائع تم محاصرة العراق ثم احتلاله. وكان احتلال العراق شكلاً عدوانياً صارخاً على الشرعية الدولية، كما هو حال احتلال العراق للكويت وقد عد ذلك نقلة خارج قيود الشرعية الدولية التي تعزز وتؤكد احترام القانون الدولي العام. وتجنيب البشرية الآلام والمآسي والدمار وإرجاع الجهود التي بذلتها الإنسانية لإرساء مبادئ القانون الدولي العام عقوداً إلى الوراء.

الخاتمة

إن مبادئ الإسلام استطاعت أن تبني أمة، واستطاعت أن ترسخ قيم وأخلاقيات ليس بين العرب المسلمين فحسب وإنما في التعامل مع الغير أفراداً أم أمماً. كما استطاعت هذه القيم أن تصمد بوجه الهجمة الشرسة التي يشنها الغرب الاستعماري بالتحالف مع الحركة الصهيونية العالمية لإسقاط هيبة الإسلام اجتماعياً وسياسياً ومحاصرة العرب المسلمين بألوان التهم والافتراءات المفضوحة. كما نجد أن في طروحات مفكرهم ماضياً وحاضراً فيها نوع من الإقصاء والعنصرية أو تعدي بدعوى نهاية التاريخ أو صراع الحضارات وغيرها من الأفكار التي تؤكد على النظرة الاستعلائية وشعارات زائفة لا يسترها الإعلام الخادع. فاهتمام الولايات المتحدة والغرب بقضية حقوق الإنسان والديمقراطية لا تثبت أمام الحقائق في تعامل هذه الدول مع الكيان الصهيوني ودول كثيرة أخرى، فهو يتعامل مع هذه القضية بنوع من البرغماتية والانتهازية السياسية التي تتجلى أبرز صورها في المعايير المزدوجة التي تطبقها بهذا الخصوص، وعدم تردها في التضحية بمبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية في حالة تعارضها مع مصالحها الاقتصادية والتجارية.

57 فرانسيس فوكوياما، الثقة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٨

ص ١٥.

58 صموئيل هنتغتون، صدام الحضارات، إعادة بناء النظام العالمي، ترجمة مالك عبيد أبو شهير ومحمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام، بغداد، ١٩٩٦، ص ٣١٩.